المحاضرة الأولى:

محاضرة مقرر منهج البحث والتحقيق للسنة الثالثة قسم اللغة العربيّة د. سكينة موعد

مفهوم منهج البحث:

المنهج: من حيث اللغة كلمة مشتقة من الجذر اللغوي (نهج)، وهي تدلّ على الطريق الواضح البعيد عن الاضطراب والغموض، وكذلك النَهْج والمنهاجُ تشتركان في الدلالة نفسها، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة:5/ 48]، أي طريقاً واضحاً بيّناً تسيرون فيه.

وقد وردت لفظة (المنهج) في مواضع متعددة من الكلام، ودلَّت على الطريق والخطّة، فحين نقول: المنهج أو المنهاج الدراسي، فإننا نعني طريقة عرض المادة العلمية ضمن الكتاب، وحين نقول: منهجي في الحياة قائم على تقوى الله، وحسن التعامل مع الناس،، فهذا يعني طريقة حياتي، وخطتي الواضحة.

أمَّا المنهج من حيث الاصطلاحُ فهو لا يبتعد عن المعاني السابقة؛ لأنه يعني طريقة تنظيم الأفكار والمعلومات والقضايا البحثية، وحسن عرضها، ومعالجتها، ودعمها بالشواهد والأدلة والبراهين وصولاً إلى الحقيقة.

البحث: من حيث اللغة يعني طلب الشيء في التراب، **والبَحُوث:** هي الإبل التي تسير وتبحث التراب بأيديها، أي ترميه خلفها، والباحث عن الخبر: المفتش والسائل عنه. إذن: البحث يعني الفحص والكشف والتفتيش والتنقيب عن شيء محدد.

أمّا البحث من حيث الاصطلاح فهو عملية التقصّي المنظّم للحقائق، ودراستها، ومعالجتها، ومناقشتها باتباع طرائق (مناهج) مناسبة تؤدي إلى إثبات تلك الحقائق، والوصول إلى النتائج.

والبحث العلمي بمعناه الواسع مفتوح على ميادين الفكر والعلوم والمعارف والفنون

والآداب فأي اختصاص علمي ومعرفي يحتاج إلى بحوث أكاديمية.

والبحث الأكاديمي هو تقرير شامل يقدمه الباحث عن عمل تعهّده وأتمه، يوضح هذا التقرير جميع مراحل العمل منذ كانت أفكاراً أولية حتى أصبحت نتائج مشفوعة بالأدلة والبراهين.

وبناءً على ذلك **فمنهج البحث** هو الطريقة أو مجموعة الطرائق التي يجب أن يتبعها الباحث كي يستطيع أداء خطوات البحث العلمي، وتحقيق المنهجية الثابتة التي يتطلبها أي بحث. فالباحث العلمي يحتاج في بحثه إلى منهج أو مجموعة مناهج تنظّم عمله، وتكون المسار الناظم له.

وهنا يبرز مصطلح **المنهجية** الذي يميّزه بعض الباحثين والدارسين من مصطلح المنهج، فالمنهجية ثابتة في جميع الأبحاث العلمية، لكنّ المنهج متغيّر بتغير الاختصاص العلمي، والبحث من حيث طبيعته، ومتطلباته، والحقائق التي يسعى الباحث إلى كشف النقاب عنها، وإثباتها وصولاً إلى النتائج المنشودة.

فالمنهجية هي مجموعة الأسس والقواعد التي يعتمد عليها الباحث لإنجاز بحثه، وهي أصول البحث نفسُها التي تتمثل في:

اختيار موضوع وعنوان مناسبين، ووضع خطة (مخطط) واضحة منظمة تشتمل على أجزاء الموضوع، وتحديد المصادر والمراجع وجمع المادة العلمية، وتوثيقها، وحسن صياغتها والتأليف بينها، والربط بين أجزائها، وكل ذلك وفق ثوابت واضحة لا يحيد الباحث عنها.

أمّا المناهج فهي متنوعة بتنوع طبيعة الأبحاث العلمية، والباحث الناجح هو من يستطيع اختيار المنهج المناسب لبحثه، فلكل علم مناهجه، فالتاريخ له منهج، وعلم النفس له منهج، وعلم الاجتماع له منهج، والعلوم الطبيعية لها منهج، ولكل من اللغة

والأدب مناهج أيضاً. ومع ذلك لا يمكننا الفصل بين مناهج البحث ضمن البحث نفسه، فقد يحتاج جزء من موضوع البحث إلى منهج يختلف عن المنهج الذي يحتاجه جزء آخر منه، فقد يعتمد الباحث ضمن موضوع بحثه على المنهج التاريخي، وعلى المنهج النفسي، وعلى المنهج الاستقرائي، وعلى المنهج المقارن، وعلى المنهج الأسلوبي، وعلى المنهج الوصفي مستخدماً أدوات البحث من وصف وتحليل واستنتاج.

وقد يختار منهجاً واحداً أو منهجين أو أكثر بحسب طبيعة البحث ومتطلباته.

يجب أن يقدّم البحث العلمي رؤية جديدة، وإضافة علمية، ولو كانت محدودة، وقد لا يتضح هذا الأمر في الأبحاث العلمية المصغّرة الصفيّة (حلقات البحث)، لكنه يجب أن يتضح في الأبحاث الموسّعة التي يتقدّم بها العلماء والأساتذة إلى الندوات والمؤتمرات والملتقيات العلمية، وكذلك في الأبحاث العلمية الأكاديمية التي يقدمها طلاب الدراسات العليا لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه.

كل باحث علمي يجب أن تكون له أسباب قوية تدفعه إلى اختيار موضوع بحثه، وتعينه على بيان أهميته، والأهداف المرجوة منه[1]، وإيجاد الحلول المناسبة للإشكاليات (المشكلات) فيه، وتقديم الجديد المفيد ضمن الاختصاص الذي ينتمي إليه بحثه.

إذا نظرنا إلى الأبحاث العلمية المقدمة في اختصاص اللغة العربية فإننا سنرى تنوع موضوعاتها، وهو تنوع مرتبط بتنوع علومها وآدابها، وهي غالباً تتناول دراسة قضية محددة ومعالجتها، أو تحقيق مخطوط من المخطوطات التي حفل بها تراثنا العربي. ولكلّ من الدراسة والتحقيق مناهج علمية ينبغي أن يعتمد عليها الباحث في

(1) من أهداف البحث العلمي: اكتشاف مجهول، جمع متفرّق، تفصيل مجمل، تهذيب مطول.

مراحل بحثه.

وإذا توقفنا عند مصطلح تحقيق المخطوطات فإننا نقول في تعريفه:

إنه يعني نقل الكتاب الذي ما زال مكتوباً بخطّ يد المؤلف أو الناسخ من صورته المخطوطة إلى صورته المطبوعة، مع مراعاة ضبط المتن (نص الكتاب) ضبطاً دقيقاً سليماً يُخرج الكتاب في الصورة التي تركها المؤلف، وذلك بالاعتماد على مجموعة من الأسس والقواعد الثابتة.

إنَّ المخطوطات العربية تراث الأمة وكنزها، وهي دليل واضح على سمو التفكير، ورقي الحضارة العربية، ونشاط حركة التأليف، وقيمة التراث العربي الإسلامي.

نجد كثيراً من المخطوطات العربية في المكتبات العربية والعالمية، وقد وصلت إلينا عن طريق الاهتمام بها وحفظها، أو عن طريق النهب أو السرقة أو البيع.

والمحقّق هو الباحث الذي يقوم بمهمّة التحقيق التي يتصل جانب منها بمهنة قديمة كانت تسمى فيما مضى من الزمن (الوراقة) [1]، ومن أدبائنا الذين امتهنوها: الجاحظ، وأبو حيان التوحيدي.

يجب أن يتحلى المحقق بمجموعة من الصفات التي يمكن أن نجملها فيما يلي:

صفات الباحث المحقّق

- الصدق والأمانة العلمية.
- الصبر والأناة
- الخبرة الكافية التي تظهر في معرفة أسس التحقيق، وكيفية التغلّب على

(1) وهي مهنة أساسها نسخ الكتب وتجليدها.

مشكلاته.

– الاطلاع على المخطوطات في المكتبات العربية والعالمية.

– الثقافة الواسعة، ومعرفة المجموعات التصنيفية والأنماط التأليفية ضمن المكتبة العربية، كي يستطيع تحديد المصادر التي سيعتمد عليها في التحقيق.

– المعرفة بأنوع الخطوط العربية التي كتبت بها المخطوطات ليستطيع كشف اللثام عن غموض بعض الكلمات، وإزالة اللبس عنها[1].

– المعرفة بأساليب العلماء والمؤلفين القدماء وطرائقهم في التعبير وفنون القول[2].

– المعرفة بالرموز والاختصارات الواردة في بعض المخطوطات.

ثمة فرق بين تحقيق المخطوطات وعلم المخطوطات

فعلم المخطوطات يتناول مجموعة من الجوانب المتعلقة بحال المخطوط مثل:

ترميم المخطوطات وطرق المحافظة عليها، آفات المخطوطات، معرفة الصحيح وتمييزه من المزور، نوعية الورق الذي خطت عليه.

أما تحقيق المخطوطات فهو قائم على مجموعة من الأسس، يمكن اختصارها بما يلي:

أسس تحقيق المخطوطات

1– اختيار المخطوط: والتأكد من أنه ما يزال مخطوطاً غير محقق، والتثبت

---

(1) فالخط المغربي يختلف في قواعد كتابة بعض الحروف عن الخط المشرقي.

(2) فالعبارة النحوية على سبيل المثال تحتاج من الباحث المحقق الخبرة في فهمها وتقليب وجوهها.

من اسم مؤلفه، وصحة نسبة الكتاب المخطوط إليه.

والاختيار الصحيح يكون مرتكزاً على أمرين، أو على أحدهما: وهما موضوع المخطوط، مؤلف المخطوط.

– فالموضوع يرتبط بالاختصاص المعرفي الذي يرغب فيه الباحث المحقق، فقد يكون في الأدب، أو اللغة، أو النحو، أو الأخلاق، أو الدين، أو العروض، أو البلاغة، أو التاريخ، وقد يكون شرحاً أدبياً أو لغوياً أو نحوياً، أو منظومة تعليمية.

– والمؤلف يكون من أصحاب الثقافة الموسوعية التي تمكنه من التأليف في جوانب معرفية متعددة، فيشتهر وتشتهر مصنفاته، وبناءً على ذلك يمكن للباحث المحقق اختيار المخطوط الذي يجب أن يكون قيماً ذا فوائد متنوعة.

2– البحث عن المخطوط، ويكون ذلك بالعودة إلى المصادر التالية:

– الكتب التي تبيّن أماكن وجود المخطوطات في العالم، أهمها: تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، إلى جانب كتب التراجم الحديثة التي اهتم فيها أصحابها بعرض مصنفات الأعلام، وبيان المخطوط والمطبوع منها.

– المكتبات المنتشرة في الوطن العربي والعالم، ففيها جميعاً توجد نشرات وفهارس توضح المخطوطات الموجودة لديها، إلى جانب مكتبات العلماء والشيوخ والباحثين.

– المواقع الإلكترونية الخاصة بالمخطوطات.

– مجلات تولي اهتماماً بالمخطوطات العربية مثل مجلة معهد المخطوطات في القاهرة، ومجلة مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة.

3– جَمْعُ النُسَخ والمقارنة بينها.

4- اختيار النسخة الأم (الأصل) وتبيان السبب.

5- ترتيب النُسخ الأخرى بعد اختيار النسخة الأم لتكون نسخاً مساعدة.

6- نَسْخُ المخطوط من النسخة الأم على قواعد الإملاء المعروفة في عصرنا مضبوطاً ضبطاً دقيقاً خالياً من السقط والتحريف والتصحيف.

وقد درج المحققون على اتباع إحدى الطريقتين التاليتين في النسخ:

أ) نَسْخ النص دون تغيير أو إدخال تصحيح على المتن، مع التنبيه على التصحيف والتحريف وإيراد التصحيحات والتصويبات في الحواشي.

ب) نَسْخ النص بعد تصحيحه، ووضع الكلام الصحيح في المتن بين معقوفتين [ ] أو « » والإشارة إلى ذلك في حواشي التحقيق أيضاً.

7- المقابلة بين النسخة الأم وبين النسخ كلمة كلمة، مع إشارة في الحواشي إلى الفروق في ضوء قواعد ستأتي في موضعها.

8- وبعد الاطمئنان إلى صحة النصّ وتمامه واستقراره عن طريق العودة إلى مصادر المؤلف ومؤلفاته لابدَّ من تحديد المواد العلميّة في المخطوط، وتوثيق كل معلومة من مصدرها، وتخريجها من مظانها، كالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار، والأرجاز، والأقوال، والأمثال، والأخبار، وأسماء الأعلام، والأماكن، وغير ذلك مما يحتاج إلى توثيق، إلى جانب متابعة المسائل والقضايا والجوانب العلمية التي عرضها المؤلف ومناقشتها وتوضيحها من مصادرها.

9- صنع الفهارس التفصيلية الموضّحة لجزئيات التحقيق، غايتها تقريب الفوائد من القارئ، ومساعدته على الوصول إلى مطلبه مع حفظ وقته وجهده.

10- إنشاء دراسة وافية تتضمن:

- لمحة عن حياة المؤلف، وشيوخه، وطلابه، وجهوده العلمية، ومصنفاته.

– بيان مضمون المخطوط، وإبراز أهميته، والغاية من تحقيقه، وعرض منهجية التحقيق.

– وصف النسخ وصفاً دقيقاً يتناول عدد أوراق كل نسخة، وعدد الأسطر والكلمات في كل ورقة، ولون المداد الذي خُطت به، واسم الناسخ، وتاريخ الفراغ من النسخ، والتمليكات والرموز إن وجدت، وذكر المكان الذي أخذ المحقق النسخة منه، وبيان حال النسخة من حيث التمام والنقصان، والسواد، والمحو، والسقط، والخروم، يضاف إلى ذلك الإشارة إلى مشكلات النَسْخ والتحقيق والسبل التي اتبعها المحقق في تجاوزها، وينبغي ألا يُغفل المحقق توضيح شكل النسخة التي اعتمد عليها، فقد تكون نسخة ورقية مصوّرة عن النسخة الأصل، وقد تكون نسخة مصغّرة (ميكروفيلم) يستعرض مافيها على شاشة خاصة.

إن التحقيق عمل علمي قيّم يسهم في إحياء التراث ونشره، ووضعه بأمانة بين أيدي الباحثين والمختصين لتحصيل الفوائد الجمة، وهو دليل واضح على الجهود التي بذلها المؤلفون أصحاب الثقافة الموسوعية، والمحققون الذين كشفوا اللثام عن تلك الكنوز الدفينة.

اختيار المخطوط:

أشرنا في كلام سابق إلى أن اختيار المخطوط يعتمد على أحد أمرين أو يعتمد عليهما معاً:

- مضمون المخطوط والحقل المعرفي والعلمي الذي ينتمي إليه.
- مؤلف المخطوط

فمضمون المخطوط مرتبط بالمضمون الذي وضع المخطوط من أجله، أو بجملة الموضوعات والقضايا التي أراد المؤلف عرضها فيه، ومناقشتها، وشرحها،

وهو مرتبط بالحقل العلمي الذي ينتمي إليه المخطوط، ويُصَنَّف ضمنه.

إذن يستطيع الباحث المحقق انتقاء المخطوط بالاعتماد على الحقل المعرفي الذي يتناسب مع ثقافته واختصاصه العلمي، فقد يكون في اللغة أو الآداب، أو النحو، أو العروض أو القراءات القرآنية، أو التاريخ، أو التراجم، أو الأخلاق والدين، أو المنظومات التعليمية، أو غير ذلك من فروع المعرفة، فعلى الباحث أن يحدّد الحقل المعرفي الذي سيختار المخطوط منه، ثم ينتقي المخطوط بعد أن يطلع على مضمون المخطوط عن طريق تصفّح أوراقه والتمعّن فيها، ومطالعة العناوين الرئيسية والفرعية، مع مراعاة توفّر النسخ ونوع الخط الذي كتبت به. فإن وجد المحقق في نفسه الرغبة في تحقيق المخطوط الذي وقع اختياره عليه، إلى جانب القدرة على تحقيقه، وتجاوز المشكلات التي قد تعترضه فالميدان مفتوح أمامه ليثبت قدرته وجدارته في هذا الجانب.

أمّا مؤلِّف المخطوط فقد يكون ممن قرأ المحقق عنه، وعن جهوده العلمية ومصنفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة، فوجد أنَّ هذا المؤلف قد ترك أثراً طيباً في نفسه، وأنه واحد من الأعلام الذين يستحقون أن تُنْشَر مؤلفاتهم، وتُعطى حقَّها من الاهتمام لتكون بين أيدي الباحثين والمختصين.

إن اعتماد الباحث على الأمرين السابقين سيدفعه إلى اختيار مخطوط قيّم زاخر بالجوانب العلمية والتعليمية والثقافية، وهو مطمئن النفس إلى أنَّ عمله سيكون إضافةً جيّدة، وبصمة واضحة في ميدان التحقيق، لأن المخطوط سيغدو كتاباً مطبوعاً مفيداً للباحثين والمختصين.

من الضروري أن يكون المحقق واثقاً من صحة عنوان المخطوط الذي اختاره، ومتأكداً من صحة اسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه، كي يبني عمله في النَسخ والتحقيق على أسس متينة، سنوضح هذه الأمور في موضعها ههنا.